مجلة البحث العلمي في الآداب
(مجلة علمية محكمة)
(ISSN2356-8321) (Print)
(ISSN2356-833X) (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/

الفكر الديني وأثره السياسي في بلاد الرافدين

زياد طارق حاتم أحمد
باحث في التاريخ القديم – كلية البنات – جامعة عين شمس
Zeidtariq85@gmail.com

أ.د. عائشة محمود عبد العال
أستاذ بقسم التاريخ- كلية البنات
جامعة عين شمس

أ.د. شاكر محمود إسماعيل
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب
جامعة عين شمس

تاريخ استقبال البحث: 2020/7/11
تاريخ قبول النشر: 2020/7/22

المستخلص :

يُعد المجتمع العراقي القديم أحد المجتمعات التي تمتلك عمقاً تاريخياً بعيداً، واقترنت به مظاهر حضارية عديدة كان أبرزها عبادة الآلهة، إذ كانت تلك الظاهرة الحضارية ذات أثر كبير في تاريخ العراق القديم، والتطور التاريخي لنظام الحكم في العراق القديم يؤكد أن الحكام والملوك قد استخدموا الدين لتبرير ما يقومون به من أعمال تخص الشأن السياسي، فقد برروا استئثارهم بالحكم على أن الآلهة هي التي قامت بانتخابهم، وحين اعترضت بعض هؤلاء الملوك صعوبات سياسية واقتصادية نجدهم يقومون بتأليه أنفسهم لمواجهتها، مما يدل على ديناميكية العمل السياسي لمسايرة التطورات ومواجهة الصعوبات التي تعترض العملية السياسية, كذلك فقد استخدم الحكام والملوك الدين في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، فضلاً عن جوانب العمل السياسي المختلفة، مما يُبرز سبب نشأة الفكر الديني.

حيث تُعد فكرة الدين من بين أقدم الأفكار الإنسانية التي ربما اقترنت بظهور الإنسان، وهي التي تؤثر عليه وتصقل أخلاقياته وتكبح جماح غرائزه، سواءً كان ذلك الفرد في مرحلة البدائية أم التمدن ، ومن هنا فإنه لا يمكن لأي مجموعة بشرية أن تستغني عن العقائد الدينية.

المقدمة

أولاً: نشأة الفكر الديني وتطوره

تُعد فكرة الدين من بين أقدم الأفكار الإنسانية التي ربما اقترنت بظهور الإنسان، وهي التي تؤثر عليه وتصقل أخلاقياته وتكبح جماح غرائزه، سواءً كان ذلك الفرد في مرحلة البدائية أم التمدن (طه الهاشمي، 1963، 9-10)، ومن هنا فإنه لا يمكن لأي مجموعة بشرية أن تستغني عن العقائد الدينية.

فمنذ أن وُجد الإنسان وُجدت فكرة الدين بصورتها البدائية البسيطة (رشدي عليان، 1976، 50)، ومع ذلك لا يمكن تحديد نقطة بداية محددة للوقت الذي نشأ فيه الدين، أو مرحلة الإنسان الذي يعتنق المعتقد الديني، والذي أصبح فيما بعد أحد المحاور الرئيسة في حياته، وهذا ينطبق على سكان بلاد الرافدين والحضارات الأخرى من العالم القديم، لكن يمكن القول إن معتقدات الإنسان الدينية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، ويتضح هذا من خلال الآثار المادية التي تركها الإنسان القديم، كالرسوم على جدران الكهوف، والدمى الطينية والحجرية، والتي ساهمت في معرفة جوانب من معتقدات الإنسانية، حيث أبرزت تلك الآثار محاولته لفهم وشرح الظواهر الطبيعية المختلفة المحيطة به وتفسيرها (طه باقر وآخرون، 1980، 13)، ومحاولته التغلب على الصعوبات في حياته اليومية، فهو عندما رسم الحيوانات على جدران الكهوف كان يهدف إلى إخطار نفسه بالأمان والتفوق على الحيوان أثناء المطاردة من أجل تسهيل عملية الصيد، وهكذا استخدم الرسم سلاحاً لتحقيق هدف اقتصادي من شأنه مساعدته على البقاء حسب اعتقاده (أكرم محمد كسار، 1983، 24).

وفي هذا الصدد يرى الدكتور حسن حماد إن دور الرسّام في هذهِ المرحلة التاريخية لم يقتصر على الوصف أو التعبير أو التطهير، بل تجاوز ذلك إلى دور الفعل والممارسة، وأصبحت اللوحة جزءاً لا يتجزأ من معركة الإنسان ضد الطبيعة، أو المجهول، أو في مواجهة رفاقه من أبناء الجنس البشري، فكان الرسم سلاحاً، والرسّام مقاتلاً، وكانت طقوس الفن ومفرداته تشبه الطقوس الدينية في قداستها وفاعليتها وقوة تأثيرها (حسين حماد، 2007، 99).

إن القداسة التي أضفيت على الفن في العصور القديمة، والاعتقاد بأن لها تأثيراً على الآخر، قد بات لها نفس القوة التي تتمتع بها الشعائر الدينية في تأثيرها الذي يجعلها جزءاً من فكر الإنسان الديني وتشكلاته، وقد عمل الإنسان في عصوره القديمة على الاستفادة من هذا الفكر الديني لتلبية حاجة مادية عاجلة، وهي توفير الغذاء لنفسه ولمجموعته، ومن هنا قَرَنَ ما بين رسم الحيوان أثناء الصيد والعمل الفعلي لصيد هذا الحيوان (جيمس فريزر، 1971، 104-105)، لذا استهدفت هذهِ الممارسات والطقوس السحرية زيادة فرص صيد الحيوانات على أساس المبدأ السحري القائل (إن الشبيه يُنتج الشبيه) (فاضل عبد الواحد علي، 1985، 27).

إن أقدم سكان أرض العراق – استناداً إلى الحفريات الأثرية التي أُجريت حتى الآن – هو الإنسان البدائي "نياندرتال" الذي وُجدت هياكله العظمية وآلاته في المناطق الجبلية الشمالية ولاسيما كهف شانيدار (Soleki,, 1958, 11, 14).

ويُعد هذا الإنسان أول من دفن موتاه تحت أرضيات السكن واضعاً في القبر مجموعة من الآلات الحجرية مما يدل على معتقده الديني (تقي الدباغ، 1988، 136)، وانتقل الإنسان

في غربي آسيا – والعراق على وجه التحديد – إلى مرحلةٍ جديدةٍ من مراحل حياته، عندما قام بتدجين بعض الحيوانات البرية التي تعيش بالقرب من مناطق سكناه، وبعد ذلك بفترةٍ قصيرةٍ باكتشاف الزراعة، تلك الطفرة الحضارية الكبيرة في حياته التي نقلته من مرحلة جمع القوت إلى مرحلة الإنتاج بزراعة بعض النباتات المختارة لغذائه (طه باقر، 1986، 186-187، 192)، وهذا الأمر دفع الإنسان إلى تسوية المستوطنات الدائمة، وقد اعتمد في البداية على الأمطار في زراعته من دون الاعتماد على وسائل الري (جان بويترو، 1986، 32-33).

ثانياً: بزوغ مفهوم الآلهة

أدى انتشار القرى الزراعية وتلاحمها إلى ظهور عادات وقواعد اجتماعية جديدة تنظم العلاقات بين السكان، وذلك من أجل أن يعيش الجميع في مساحة محدودة من الأرض، إذ أخذ الإنسان في العصر الحجري الحديث يدين بالولاء والطاعة إلى القوى المسيطرة على حياته الجديدة حسب اعتقاده والمسئولة عن خصوبة قطعانه، أو عن نزول المطر الذي يسقي محاصيله، ولذلك تقلصت الممارسات السحرية القديمة التي كانت كافية لحياة الصيد في ظل الحياة الاقتصادية الجديدة (تقي الدباغ، 1985، 111-143)، وهذا الأمر دفع الإنسان إلى التفكير في تأثير القوى الطبيعية على حياته والتي أعطاها العديد من الخصائص، وعمل على كسب رضاها حتى يتمكن من خلالها بحماية نفسه ومنتوجاته (جان بوتيرو وآخرون، 1986، 33).

وكانت السمة الأبرز للديانة في العصر الحجري الحديث هي ارتباطها بخصوبة الأرض ونمو النباتات، فقد ربط إنسان هذا العصر بين الخصوبة والآلهة، فنحت تماثيل ما يسمى بالإلهة الأم "Mother Goddess" التي تظهر عارية في معظم الوقت مع التركيز على مناطق الخصب عند المرأة، وقد عُثر على تماثيل لهذهِ الإلهة في قرى جرمو وحسونة (تقي الدباغ، 1988، 113-116)، وغيرها من القرى والمواقع في مددٍ زمنيةٍ مختلفة، ومن المحتمل أن

شكل رقم (1)

يمثل الإلهة الأم

نقلاً عن جان بوتيرو، الديانة عند البابليين

شكل رقم (2)

يمثل رأس الثور

نقلاً عن Parrot, A., Archeologie Mesoptammines

الإنسان في عبادته للإلهة الأم قد قام

بمحاكاة القوى المُولدّة في الطبيعة، والغرض هو التعبير عن مفهوم الخصوبة والإنجاب، لهذا نراه يجسدها في الواقع على الصورة التي ذكرناها (عبد القادر الشيخلي، 2014، 73-74).

وقد عُثر في مواقع عصر حلف على دلاياتٍ مصنوعة من الحجر على شكل رأس الثور (منى حسين عباس، 1989، 60)، بالإضافة إلى الرسومات العديدة لرأس الثور التي زينت الفخار في تلك الحقبة، مما يدل على أن الثور كان يرمز إلى العنصر المذكر في الطبيعة، وعدَّه نظيراً للإلهة الأم، وقد استمر الثور كأحد ألقاب إله الخصب في عقائد العراقيين القدماء في العصور التاريخية (فاضل عبد الواحد علي، 1986، 22-23).

أما عن الإلهة الأم في حضارة حلف فقد مثلت في وضعٍ جاثمٍ، واضعة الذراعين تحت الصدر الذي رُكِز عليه في التمثيل، فضلاً عن ضخامة المنكبين، أما الرأس فكان تمثيله ضعيفاً، كما عُثر على دمى حيوانية ولاسيما الدمى الخاصة بالماشية التي يمكن أن تكون ذات علاقة بعلامة البكرانيوم Bucroniom الموجودة على الفخار كرمزٍ دينيٍ أو سحري (ديفد وجون اوتس، 1988، 305).

وعقب ازدياد عدد السكان في ظل عدم قدرة الأرض على إمدادهم بالغذاء فقد انتشروا في المناطق الواقعة جنوب خط المطر الممتد حتى موقع تل الصوان جنوب مدينة سامراء مع بداية الألف السادس ق.م، وهذا الأمر أحدث تطوراً في الفكر الديني، فقد اتجه الإنسان إلى عبادة الظواهر الطبيعية المؤثرة في حياته الاقتصادية، كالمطر والهواء المتحكم بحركة الغيوم المسببة للأمطار، وذلك أكثر من اهتمامه بالخصوبة التي بدت غير ذات جدوى مع عدم وجود الكميات الكافية من المطر العامل الحيوي في الزراعة الديمية (فوزي رشيد، 1995، 67-73)، وعند انتقال الإنسان للسكن في جنوب العراق في حدود الألف الخامس ق.م للأسباب نفسها فقد نقلت الجماعات المهاجرة معها عبادتها المتعلقة بقوى الطبيعة (فوزي رشيد، 1985، 147).

وأدى اهتداء إنسان بلاد الرافدين إلى البدايات الأولى للكتابة في حدود (3500-3200 ق.م) ومن ثم قيامه بتدوين نشاطاته المختلفة – ومنها الديانة – عبر الحقب التاريخية الطويلة التي مر بها إلى زيادة معرفتنا بديانة العراق القديم، وأصبحت أكثر وضوحاً نتيجةً للنصوص الكتابية التي خلَّفها العراقيون القدماء والتي ذكروا فيها أسماء آلهتهم ورموزها (حسين أحمد سليمان، 2008، 24).

ورغم أن بلاد الرافدين كانت مقسمةً سياسياً في بداية عصورها التاريخية إلاّ إنها شكلت وحدةً حضاريةً في المجالات المختلفة بما في ذلك الديانة (تتشايلد جون، 1984، 59)، فقد توصل المفكرون من رجال الدين السومريين إلى جملةٍ من الأفكار والمعتقدات الدينية، والتي ورثوا معظمها من سكان القرى الزراعية التي سبقت هذهِ المرحلة، واستمرت مقبولةً لدى مَن جاء بعدهم من السكان مع شيءٍ من التطوير (تقي الدباغ، 1988، 115-116)، وتمكن هؤلاء المفكرون من صياغة قناعاتهم عن نظام الكون والخليقة وأصل الوجود في أساطيرٍ وملاحمٍ عدَّيدة تميَّز بها الإرث الحضاري العراقي القديم (هاري ساكز، 1979، 481).

ثالثاً: خصائص الفكر الديني

تميزت الديانة في العراق القديم بعددٍ من الخصائص:

1- **اتصافها بمبدأ التعدد (Polytheism)** (Frankfort, 1978, 281): أي أنها آمنت بتعدد الآلهة التي عُدَّت بالآلاف (Bottero, Jean, 1992, 45)، تتباين فيما بينها من ناحية الأهمية والقِدم (سامي سعيد الأحمد، 1988، 5)، وتُعزى هذهِ الكثرة في عدد الآلهة لتعدد المظاهر الكونية والطبيعية التي جسدها العراقيون القدماء بهيئة آلهة (طه باقر وآخرون، 1980، 9).

وقد قسموا هذهِ الآلهة على ثلاثة أصناف (بهيجة خليل، 2001، 133):

أ- الآلهة العظام ويقف على رأسهم الإله "آن- انو" "AN- Anu".

ب- الآلهة المحلية التي اختصت بعبادتها وتقديسها المدن المختلفة.

ج- الآلهة الشخصية.

ويبدو أن آلهة المدن كانت منظمةً على غرار حكومةٍ ملكيةٍ تتضمن مناصب مماثلة لما في القصور الملكية التابعة لحكام المدن، فهناك إداريون بوظائف مختلفة، وكذلك حرفيون من الآلهة، وبذلك فقد تم على الأرجح نقل طابع النظام الدنيوي إلى عالم الآلهة السماوي، كلٌ حسب منزلته في العالم الدنيوي (زودون فون، 2003، 193)، وقد تقلص عدد الآلهة بمرور الزمن، حتى أصبح عدد آلهة المرتبة العليا المهيمنون على العبادة محدودي العدد، غير أن هذا لا يعني إلغاء الآلهة الأخرى نهائياً (جان بوتيرو، 1990، 263).

2- **اتصافها بمبدأ الحيوية:** أي وجود حياة أو روح في الظواهر الطبيعية والكونية التي تحيط بالإنسان، فآمنوا بأن لكل ظاهرةٍ طبيعيةٍ قوى خفية تحركها، وتجعلها فاعلةً ومؤثرةً، وهذا الأمر دفع الإنسان العراقي القديم إلى جَعْل هذهِ الظواهر بمنزلة آلهة واجبة الطاعة، وعليه كسب رضاها (Durkheim, 1947, 3-4).

فنجد أن العراقي القديم لم ينظر على سبيل المثال إلى الملح كجماد، بل ككائن حي يخلصه من السحر عندما يصيبه كما في النص الآتي:

"أيها الملح، يا مَن خُلقت في مكانٍ نظيفٍ،

طعاماً للآلهة جعلك "انليل"

بدونك لا تُمد مائدة في "ايكور" بدونك لا ينشق البخور إله أو ملك أو سيد أو أمير.

أنا فلان بن فلان،

وقعت أسيراً للسحر

وقعت محموماً في أحابيله

أيُّها الملح، حُلَّ عني العقدةَ

ارفع السحر عني وكخالقي

ارفع المجد والتسبيح لك" (جاكبسون، ثوركيلد وآخرون، 1996، 152).

3- **اتصافها بمبدأ التشبيه "Anthropomorphism":** وهي أبرز صفات هذهِ الديانة، إذ شبَّه العراقيون القدماء آلهتهم بالبشر، ومنحوها جميع الصفات التي يتصف بها من مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ وزواجٍ وإنجابٍ، كما كانت دولتهم الكونية على غرار الدولة الأرضية، والآلهة العراقية القديمة تفرح وتغضب وتحترب فيما بينها، غير إنها احتفظت لنفسها بالخلود، في حين قدَّرت الموت على البشر (طه باقر، 1955، 227-228).

وهذا المضمون توضحه ملحمة كلكامش:

"إلى أين تسعى يا كلكامش

إن الحياة التي تبغي لن تجد

حينما خلقت الآلهة العظام البشر

قدَّرت الموت على البشرية

واستأثرت هي بالحياة" (طه باقر، 1980، 135)

وفضلاً عن الخلود فإن الآلهة فاقت الإنسان بالقدرة والإمكانية، لذا فهو أعجز من أن يقف على أفكارها، أو أن يصل إلى إدراك كنهها، والفرق بينها وبين الإنسان في هذه الناحية قدّره العراقي القديم بِبُعد السماء عن الأرض:

"إن أفكار الآلهة بعيدة عنا

بُعد أعماق الأرض عن السماء

يتعذر علينا إدراكها،

ولا أحد يستطيع فهمها" (جان بوتيرو، 1990، 257).

4- **اتصافها بالاستمرارية:** فحين بلغت مرحلة النضج في العصور التاريخية في الألف الثالث قبل الميلاد، لم يطرأ عليها من ناحية أسسها وأصولها تغيرٌ كبيرٌ في المراحل التاريخية المتعاقبة التي مر بها العراق القديم حتى نهاية العصر البابلي الحديث (539 ق.م)، فالآلهة التي عبدها العراقيون القدماء في العصور التاريخية المتأخرة هي بشكلٍ تقريبي ذات الآلهة التي عبدوها في الأدوار القديمة، وكذلك من ناحية الطقوس والشعائر والتراتيل الدينية الأساسية، أما التغيرات فسوف نجدها في علاقة الآلهة فيما بينها، فهذهِ العلاقات وكذلك مكانة الآلهة وأهميتها كانت رهناً بالتغيرات السياسية (طه باقر، 1986، 226).

رابعاً: نبذه عن أهم الآلهة

نُظمت الآلهة في الديانة العراقية القديمة على شكل مجمعٍ إلهيٍ "Pantheon" (Bottero, Jean, 1992, 45)، وكان أعظم أربعة آلهة فيه هي الآلهة الخالقة، وهم: "ان، آنو"

"AN, Anu" إلـه السـماء، والإلـه "انليـل" "Enlil" إلـه الهـواء، والإلـه "انكـي، أيـا" "Enki, Ea" إلــه الأرض والحكمــة، والإلهــة "ننخورســاك" "Ninhursag" الإلهــة المولــدّة أو الســيدة العظيمــة (صموئيل نوح كريمر، 1973، 156).

وفضــلاً عــن الآلهــة الأربعــة الرئيســة فهنــاك ثــلاث آلهــة أخــرى، وهــي: "نانّــا، ســين" "Nanna, Sin" إلـه القمـر، وابنـه الإلـه "اوتـو، شـمش" "Šamaš, Utu" إلـه الشـمس، والإلهـة "إننــا، عشــتار" "Enanna, IŠtar"، وهــؤلاء جميعــاً يؤلفــون الآلهــة الســبعة مقــرري المصــائر (صموئيل نوح كريمر، 1973، 163).

ويقـف علـى رأس المجمـع الإلهـي ثلاثـة آلهـة، وهـم: آنـو وانليـل وانكـي "أيـا"، وقـد تربـع آنـو علــى رأس المجمــع الإلهــي، ويعنــي اســمه الســماء المنظــورة، ثــم تحولــت الســماء تــدريجياً رمــزاً للإلوهيـة عمومـاً، كمـا حملـت الكلمـة "آن- آنـو" معنـى السـيادة باعتبـار هـذا الإلـه هـو سيـد الآلهـة جميعاً (سيد محمود القمني، 1989، 114)، فيرِد في ترنيمةٍ موجهةٍ إلى هذا الإله ما يأتي:

"أمير الآلهة،

الذي َكلِمته هي السلطة في مجمع الآلهة الكبار،

سيد التاج العظيم المزدحم ببهاء

أنت الذي يمتطي الأعاصير الكبيرة

ترق أذن الـ (ايكيكي) لسماع حكمتك العظيمة،

ولا تقترب منك الـ انوناكي بمجموعها

إلا وهي مرتجفة

على صوتك تخر كل الآلهة ساجدة.

مثل نبات القصب، تحت رحمة الريح العاصفة" (سامي سعيد الأحمد، 1988، 21).

وقـد تقاسـم الإلـه آنـو مدينـة الوركـاء مـع ابنتـه عشـتار، إذ كـان مركـز عبـادة هـذا الإلـه فـي منطقـة كـولاب (طـه بـاقر، 1986، 292)، والتـي تمثـل جـزءاً مـن الوركـاء، أمـا المنطقـة الأخـرى التـي تتكـون منهـا المدينـة وهـي "أي – انّـا" فقـد عُبـدت فيهـا ابنتـه اننّـا "عشـتار" (فـوزي رشـيد، 1984، 152)، ويبـدو أن المنزلـة الرفيعـة لهـذا الإلـه جعلتـه بعيـداً عـن مشـكلات الآلهـة والبشـر علـى حـدٍ سـواء، فصـار مجـرد رئـيس رمـزي، فـي حـين اعتلـى الصـدارة منافسـه الإلـه انليـل "إلـه الهـواء" منـذ عصـر فجر السلالات (فاضل عبد الواحد علي، 1979، 110).

أمـا الإلـه انليـل "إلـه الهـواء" فكـان محـل عبادتـه فـي مدينـة نفـر (طـه بـاقر، 1986، 292) ومعبـده فيهـا يسـمى اي- كـور "É-kur" ويعنـي "بيـت الجبـل"، ويُكـن هـذا الإلـه التسـامح تجـاه البشـر، ولكنـه فـي الوقـت نفسـه عنيـفٌ كالعاصـفة، فهـو علـى سـبيل المثـال الـذي أصـر علـى هـلاك الجنس البشري بتسليط الطوفان عليهم (هاري ساكز، 2000، 223).

ويحمل هذا الإله "انليل" ألقاباً كثيرة تدل على المنزلة العظيمة التي وصل إليها، فمن بين ألقابه: "ملك الآلهة"، و"سيد جميع البلدان"، و"الجبل الكبير"، و"الإله الذي يقرر جميع المصائر"، و"سيد السماء والأرض"، وغيرها من الألقاب (فوزي رشيد، 1984، 152)، وهو الإله الأكثر أهمية بين سائر آلهة العراق القديم، ويحتل جانباً كبيراً في الشعائر والطقوس الدينية التي صورته بصاحب الفضل الأول في خلق وتوجيه أكثر الظواهر الكونية خطورة في الإنتاج، فهو الذي وضع الخطط لإنتاج البذور والنباتات والأشجار من الأرض، وصمم أدوات الإنتاج كالفأس والمحراث ليستخدمهما الإنسان في اقتصادياته، وعليه اعتمد ازدهار البلاد ورخاؤها (نائل حنون، 1980، 43)، بل وربما جاء اسم البلاد من اسم مدينة هذا الإله التي انعكست قدسيته عليها، وقد خاطب العراقي القديم إلهه العظيم انليل معدداً إنجازاته بالقول:

"فبدون انليل "الجبل العظيم"

ما كان بالإمكان تشييد أية مدينة،

ولا بناء أية مستوطنة

ولا كان يمكن إقامة أية مرابط أو حظائر للأغنام

وما كان يمكن "رفع" أي ملك

ولا يولد أي كاهن جليل..

ومياه الأنهار ما كانت لتتدفق فيضاناتها الغامرة،

وطيور السماء ما كانت لتبني أعشاشها في الأرض البرية.

وأسماك البحار ما كانت لتضع بيوضها في أجمات القصب.

والنباتات والأشجار، مفخرة السهول، ما كانت لتنمو،

وفي الحقول والمروج، لم يكن للحبوب الطيبة أن تزهر

والأشجار الشامخة في غابات الجبال، لم تكن لتثمر" (رو جورج، 1984، 134).

ويُعد الإله "انكي، أيا" ثالث الآلهة، وقد ظهر اسمه في النصوص السومرية العائدة إلى حقبة الألف الرابع قبل الميلاد، وكان مقر عبادته في مدينة أريدو ومعبده فيها يسمى "أي- ابسو" أو "أي- اينكورا".

ولُقِب هذا الإله بألقابٍ عدة، مثل: "سيد الحكمة"، و"ملك العميق"، و"خالق كل شيء"، و"ملك الآلهة"، و"الأب"، و"الخالق والد البشر"، و"سيد القدر"، وغيرها من الألقاب.

ازدادت أهمية هذا الإله وارتفع شأنه وتعددت وظائفه عندما أدرك الفكر العراقي القديم أهمية المياه في حياة الكائنات الحية، وكانت الحكمة أهم صفات هذا الإله (شيماء

صلاح أحمد، 2007، 10-11)، وقد اعتقد العراقيون القدماء أن الإله انليل هو المسئول عن التخطيط، أما التنفيذ فكان من مهمات الإله انكي (ايا) (صموئيل نوح كريمر، 1973، 163).

ويُعزى لهذا الإله إنقاذ البشرية من عباب الطوفان الذي سلَّطته الآلهة على البشر **(Kramer, 1969, 141-143)**، وأنيطت به رعاية فنون الحضارة "مي ME" (عبد الهادي الفؤادي، 1971، 54-55)، وهو المخلِص للإنسان من التأثيرات السحرية التي تسببها العفاريت، ويشير هذا كله إلى أهمية هذا الإله، ونقتطف مقطعاً من أسطورة "انكي وتنظيم الكون" حول بعض تنظيمات الإله انكي (هاري ساكز، 2000، 223):

"لقد دبَّر المحراث والنير،

الأمير العظيم انكي... فتح الأخاديد المقدسة،

وجعل الغلة تنمو في الحقول (التي تُزرع طيلة أيام السنة)،

هو السيد، جوهرة السهل وزينته

الذي استكمل قوته، فلاح ((انليل))، ((أنكمدو))، إله القنوات والجداول،

عَيَّنه انكي لينظم شؤونها" (صموئيل نوح كريمر، 1957، 182).

احتلت الإلهة ننخورساك "الإلهة- الأم" مكانةً بارزةً بين الآلهة الخالقة، وعُرفت بأسماءٍ عدة، مثل: ننماخ "Ninmah" أي "السيدة المعظَّمة"، وباسم ننتو "Nintu" أي "السيدة التي تلد أو السيدة الوالدة"، وبلغت مرتبة هذهِ الإلهة في الأزمان القديمة درجةً كبيرةً من التعظيم، فكثيراً ما يَرِد اسمها قبل اسم الإله انكي في بعض إثباتات الآلهة، وكانت هذه الإلهة في الفكر الديني للعراقيين القدماء أماً لجميع الأشياء الحية (صموئيل نوح كريمر، 1973، 183).

وفضلاً عن هذهِ الآلهة الخالقة فهناك آلهة أخرى، مثل: الإله نانّا "سين" إله القمر (جورج كنتونيتو، 1979، 414)، والإله اوتو "شمش" إله العدالة والكهانة، والإلهة إنّنّا "عشتار" إلهة الحب والحرب (Graves, 1972, 56)، وهناك أيضاً آلهة رمزت للسلطة السياسية أكثر من كونها رمزاً للسلطة الدينية، مثل: الإله ننكرسو إله مدينة كرسو، والإله مردوخ إله مدينة بابل، والإله آشور الإله القومي للآشوريين (رضا الهاشمي، 1971، 258).

الخلاصة: الخاتمة وأهم النتائج

مما تقدم نستطيع أن نجمل القول فيما يلى:

1- لعب الدين دوراً رئيساً وفاعلاً في حياة الإنسان، إذ تشير الآثار والاكتشافات التاريخية إلى وجود بعض المعتقدات الدينية لدى الإنسان القديم، وبعضها يعود في قدمه إلى عصور ما قبل التاريخ.

2- تباينت وتطورت تلك المعتقدات على مر التاريخ، بدءاً من بعض الرسوم على جدران الكهوف والدمى الطينية والحجرية، والتي اقتصرت في البداية على التعبير عن بعض الحاجات الاقتصادية والاجتماعية، ثم باتت تمس كل النواحي الإدارية والسياسية، حتى أصبحت طقوسها وشعائرها تسيطر على مقدرات الأمم وتوجه قرارات الساسة والحكام في سائر أنواع الحضارات.

3- اقترنت الآلهة في بدايات اعتقاد الإنسان القديم بها بالظواهر الطبيعية مثل السماء والرياح والمطر وغيرها من القوى الطبيعية المؤثرة في حياته، وقد أمدتنا النصوص الكتابية التي خلفها العراقيون القدماء بالعديد من المعلومات حول أسماء آلهتهم ورموزها المختلفة، وكذلك تأثيرها على حضارة بلاد الرافدين في جميع النواحي.

4- اتصف الفكر الديني في العراق القديم بالعديد من الصفات، ومن أهمها مبدأ التعدد نظراً لتعدد المظاهر الكونية والطبيعية، ومبدأ الحيوية الذي يشير إلى الاعتقاد بوجود روح أو حياة في تلك الآلهة المسيطرة على الطبيعة، ومبدأ التشبيه الذي أضفى عليها جميع صفات البشر من مأكل ومشرب وزواج وإنجاب، ومبدأ الاستمرارية الذي يشير إلى أن العراقيين القدماء استمروا في عبادة نفس الآلهة على مر العصور والأدوار التاريخية القديمة بنفس الطقوس والشعائر الدينية.

5- صنفت الديانة العراقية القديمة الآلهة ونظمتها على شكل مجمع إلهي، على رأسه الآلهة الخالقة وهم: "ان، آنو" "AN, Anu" إله السماء، والإله "انليل" "Enlil" إله الهواء، والإله "انكي، أيا" "Enki, Ea" إله الأرض والحكمة، والإلهة "ننخورساك" "Ninhursag" الإلهة المولدّة أو السيدة العظيمة، بالإضافة إلى ثلاثة آلهة أخرى وهم: "نانّا، سين" "Nanna, Sin" إله القمر، وابنه الإله "اوتو، شمش" "Šamaš, Utu" إله الشمس، والإلهة "إننا، عشتار" "Enanna, IŠtar"، وهؤلاء جميعاً يؤلفون الآلهة السبعة مقرري المصائر، وهناك أيضاً آلهة أخرى رمزت للسلطة السياسية أكثر من كونها رمزاً للسلطة الدينية، مثل: الإله ننكرسو إله مدينة كرسو، والإله مردوخ إله مدينة بابل، والإله آشور الإله القومي للآشوريين.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية والمعربة

1- أكرم محمد عبد، كسار، **"قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"**، سومر، مج39، (بغداد، 1983).

2- بهيجة خليل إسماعيل، **"مظاهر وحدة حضارة بلاد الرافدين في المعتقدات الدينية"**، في، وقائع ندوة حضارة بلاد الرافدين، منشورات المجمع العلمي العراقي، (بغداد، 2001).

3- تقي الدباغ، **"الثورة الزراعية والقرى الأولى"**، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1985).

4- ـــــــــــ ، **"الفكر الديني قبل التاريخ"**، مجلة بين النهرين، العددان 61-62، (بغداد، 1988).

5- ـــــــــــ ، **الوطن العربي في العصور الحجرية**، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1988).

6- ثوركيلد جاكبسون وآخرون، **ما قبل الفلسفة، الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى**، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، مراجعة محمود الأمين، منشورات مكتبة الحياة، (بغداد، 1960).

7- جان بوتيـــــرو، **الديانة عند البابليين**، ترجمة وليد الجادر، (بغداد، 1970).

8- ـــــــــــ ، **بلاد الرافدين الكتابة- العقل- الآلهة**، ترجمة الأب البيرابونا، مراجعة الدكتور وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1990).

9- جان بوتيرو وآخرون، **الشرق الأدنى الحضارات المبكرة**، ترجمة :عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1986).

10-جورج رو، **العراق القديم**، ترجمة: حسين علوان حسين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد، 1984).

11-جورج كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1979).

12-جيمس فريزر، **الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين**، ترجم بإشراف أحمد أبو زيد، الهيئة العامة للتأليف والنشر، (القاهرة، 1971).

13-حسن حماد، **"الفن والحرب في العصور القديمة رؤية أنثروبولجية ونقدية"**، مجلة عالم الفكر، مج36، العدد الثاني، (الكويت، 2007).

14-حسين أحمد سلمان، **كتابة التاريخ في وادي الرافدين في ضوء النصوص المسمارية**، ط1، دار الكتاب للطباعة والنشر، (بغداد، 2008).

15-ديفيد وجوان أوتيس، **نشوء الحضارة**، ترجمة لطفي الخوري، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1988).

16-رشدي والساموك سعدون عليان، **الأديان دراسة تاريخية مقارنة - الديانات القديمة**، ط1، (بغداد، 1976).

17-رضا الهاشمي، **"النظام الكهنوتي في العراق القديم"**، مجلة كلية الآداب، العدد الرابع عشر، (بغداد، 1970- 1971).

18-سامي سعيد الأحمد، **المعتقدات الدينية في العراق القديم**، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1988).

19-سيد محمود القمني، **"آن إله السماء ودرس في اركيولوجيا اللغة"**، مجلة آفاق عربية، العدد الثالث، (بغداد، 1989).

20-شيماء صلاح أحمد الجنابي، **الإله انكي في حضارة بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (2007).

21-صموئيل نوح كريمر، **السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم**، ترجمة: فيصل الوائلي، (الكويت، 1973).

22-طه الهاشمي، **تاريخ الأديان وفلسفتها**، منشورات مكتبة الحياة، (بيروت، 1963).

23-طه باقر، **مقدمة**، ج1، (1955).

24- ـــــــ، **ملحمة كلكامش**، ط4، دار الحرية للطباعة، (بغداد،1980).

25- ـــــــ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1986).

26-طه باقر وآخرون، **تاريخ العراق القديم**، (بغداد، 1980).

27-عبد القادر عبد الجبار الشيخلي، **الوجيز في تاريخ العراق القديم**، (بغداد، 2014).

28-عبد الهادي الفؤادي، **"رحلة ايناتّا إلى اريدو"**، سومر، مج 27، (بغداد، 1971).

29-ف. جوردن تشايلد، **التطور الاجتماعي**، ترجمة : لطفي فطيم، مراجعة كمال الملاح، مؤسسة سجل العرب، ب. ط، (القاهرة، 1984).

30-ف. فون زودون، **مدخل إلى حضارات الشرق القديم**، ترجمة فاروق إسماعيل، ط1، دار المدى للطباعة والنشر، (دمشق، 2003).

31-فاضل عبد الواحد علي، **مقدمة في معتقدات سكان وادي الرافدين"**، مجلة دوريات آفاق عربية، الفلسفة والثقافة، العدد الثاني، (بغداد، 1985).

32- ـــــــــــــــــ، **عشتار ومأساة تموز**، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1986).

33-فاضل عبد الواحد علي، عامر سليمان، **عادات وتقاليد الشعوب القديمة**، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1979).

34-فوزي رشيد، **"المعتقدات الدينية"**، **حضارة العراق**، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1985).

35- ـــــــــ، **الفكر عبر التاريخ**، ط1، منشورات سينا، (مصر، 1995).

36-منى حسن عباس، **الدلايات والتمائم في المتحف العراقي من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية فجر السلالات**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (1989).

37-هاري ساكز، **عظمة بابل**، ترجمة: عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، 1979).

38- ـــــــــــ، **الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)**، ترجمة: كاظم سعد الدين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 2000).

ثانياً: المراجع الأجنبية

1- Bottero, Jean, **Religion in Ancient Mesopotamia**, Translated by Tresa Lavender Fagan, (Chicago, 1992) .

2- Durkheim, E., **Elementary forms of Religion life**, (London, 1947).

3- Frankfort, H., **KG**, (Chicago, 1978).

4- Kramer, S. N., "The Deluge"**, ANET**, (New Jersey, 1969). [1]

5- Soleki, R. S., "Shanider Cave", **Sumer**, Vols. 9, 11, 14, (Baghdad, 1953, 1955, 1958).

الاختصارات

(*) كهف شانيدار (shanidar): يقع جنوب سلسلة جبال برادوست إلى الشمال من راوندوز في مدينة أربيل، وقد نقبت فيه بعثة أمريكية برئاسة رالف. س. سوليكي بين عامي (1951–1961) وكشفت عن نتائج مهمة عن عصور ما قبل التاريخ في العراق.

(*) قرية جرمو: أقدم القرى الزراعية المكتشفة في العراق، جاءت هذهِ التسمية نسبة إلى قلعة جرمو الحديثة في محافظة السليمانية، وتقع أطلال هذهِ القرية على بعد أحد عشر كيلو متراً شرقي بلدة جمجمال. اكتشفت خرائبها المديرية العامة للآثار والتراث، ثم نقبت بها بعثة أمريكية من جامعة شيكاغو في عام 1948 واستمرت حتى عام 1955.

(*) قرية حسونة: ثاني أقدم القرى الزراعية في العراق وتقع على بعد 8 كم إلى الشرق من مركز ناحية الشورة جنوبي مدينة الموصل.

(*) البكرانيوم: كلمة إغريقية تعني رأس بقرة، استعملت في آثار الشرق الأدنى القديم لتدل على رأس الثور في فخار حلف والجماجم ذات القرون في جماجم جطل هيوك.

(*) الملحمة: الفرق بين الأسطورة والملحمة أن موضوع الأولى هو عالم الآلهة، أما موضوع الثانية فيدور حول فرد من البشر، وتعنى بمنجزاته وبطولاته ومآثره غير أن هذا التمييز بين الأسطورة والملحمة أمر شكلي، وأن الحدود قد لا ترى في كثير من الأحيان بحيث تصبح الأسطورة ملحمة، والملحمة أسطورة، والسبب الرئيس في ذلك أن الكثير من الأساطير التي أبطالها من الآلهة، نراهم يقومون بمنجزات ومغامرات وأعمال بطولية، يؤدي إلى تجاوز الحدود الشكلية المتعارف عليها، فتسمى مثل هذهِ الأساطير بالملاحم.

(*) عصر حلف: أحد أدوار العصر الحجري المعدني، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى الموقع الأثري تل حلف أو (خلف) الذي يقع بالقرب من قرية رأس العين على الحدود التركية– السورية. نقب فيه الألماني (فون اوبنهايم) قبيل الحرب العالمية الأولى، وعثر فيه على بقايا مدينة مهمة اسمها (كوزانا) وهي عاصمة دويلة آرامية عرفت باسم (بيت بهياني)، ازدهرت منذ القرن العاشر قبل الميلاد. أما أهم ما يميز هذا الدور فهو الفخار الذي يعد أروع ما أنتجته الحضارات القديمة.

(*) نفر (نيبور القديمة): وهي العاصمة الدينية للسومريين، تقع بالقرب من مدينة عفك الحالية وتبعد عن جنوب شرقي بابل بنحو 45 ميلاً وهي من المدن المقدسة في العراق القديم.

ANET	Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts, 3rd.ed (New Jersey,1969).
KG	Frankfort, H., kingship and the Gods.
Sumer	A Journal of Archaeology and History in Iraq.

Religious thought and its political impact in Mesopotamia

Ziad Tariq Hatem Ahmed
Researcher in ancient history - Girls College - Ain Shams University
Zeidtariq85@gmail.com

Prof. Aisha Mahmoud Abdel-Al
Professor, Department of History, Girls College, Ain Shams University

Prof. Shaker Mahmoud Ismail
Professor of Islamic History
Arts College, Ain Shams University

Abstract

The ancient Iraqi society is one of the societies that possesses historical depth far away, coupled with many civilizational aspects, the most prominent of which was the worship of the gods. Therefore, this civilized phenomenon had a great impact in the history of ancient Iraq. The historical development of the system of rule in ancient Iraq confirms that rulers and kings have used religion To justify their actions related to political affairs, they justified their monopoly by ruling that the gods elected them, and when some of these kings faced political and economic difficulties, we find them deemed themselves to confront them, which indicates the dynamics of political action to keep pace with developments and face difficulties in the political process. The rulers and kings also used religion in the economic and social field, as well as various aspects of political action, which gives the reason for the emergence of religious thought.